المقدِّمة

الحمدُ لله علىٰ نعمة الإسلام، وتمييز الإنسان بالعقل علىٰ البهائم والأنعام، فجعله مناط التكليف وبغيابه لا يُسألُ الإنسان ولا يُلام، والصلاةُ والسلامُ علىٰ خاتم الرسل وخير الأنام، وعلىٰ صَحْبه الخِيَرة الكرام، وأزواجه وذريته وآله ذوي المقام، ما تعاقبت الأزمان وتتابعت الأيام.

وبعد؛

فلا يخفىٰ علىٰ أحدٍ ما تتفيَّؤه الأمَّةُ الإسلاميَّةُ اليوم من ظلالِ صَحْوةٍ[1] علميَّةٍ مباركة[2]، يرىٰ البعض أنها بدأت -وآخرون أنها قفزت قفزةً نوعيَّة- في سبعينيات القرن الميلادي المنصرم[3]، فعمَّت آثارها حتىٰ انتشرت في أصقاع العالم الإسلامي كله، من مشرقه إلىٰ مغربه، وأقبل الناس -وخاصَّةً الشباب منهم- ذرافاتٍ ووحدانًا علىٰ تعلُّم أمور دينهم، وتقاطروا علىٰ دروس العلم من كل حدب وصوب، فأُقيمت الحلقات والدورات، وكثرت الدروس والمحاضرات، وظاهَرَ هذا وشدَّ من عَضُدِه: ما تدفع به بطون المطابع من كتب ومؤلَّفات، تراثية وعصرية، فأحدث هذا نوعًا من

---

(١) يُنظر في هذا المصطَلح وأسباب نشأته: د. عبد الكريم بكَّار، «**الصحوة الإسلامية، صحوة من أجل الصحوة**»، (ص/ ١٣ - ١٨).

(٢) شهِد بذلك الكثير من العلماء، منهم: الشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال في مطلع كتابه: «**حلية طالب العلم**»: «فأقيِّدُ معالم هذه الحلية المباركة عام (١٤٠٨هـ)، والمسلمون -ولله الحمد- يعايشون يقظة علمية تتهلَّلُ لها سبحات الوجوه، ولا تزال تنشط متقدِّمة إلىٰ الترقِّي والنضوج في أفئدة شباب الأمة، مدها ودمها المجدد لحياتها؛ إذ نرىٰ الكتائب الشبابية تترىٰ يتقلَّبون في أعطاف العلم، مُثقَلين بحمله، يعلُّون منه وينهلون . . .»، إلىٰ آخر كلامه هناك.

(٣) د. عبد الكريم بكَّار، «**الصحوة الإسلامية، صحوة من أجل الصحوة**»، (ص/ ٢٠).

الثقافة الإسلامية العامَّة، ونواةً لطلَّاب علمٍ يُنتظَرُ تصدُّرُهم، وحملهم للواء العلم والقيام بأعبائه حين يأني أوانُهُم.

وكان من أهمِّ أبواب العلم وأصوله التي استطاعت أن تجذب انتباه هؤلاء جميعًا إليها، وأن تنفرد بنصيبٍ وافرٍ من اهتمام المعاصرين بها، علىٰ الرغم من تأخُّر ركابها عن سائر مثيلاتها: **علوم الحديث**.

فبعد أن كان هذا العلم قد دَرَسَ رسْمُه، ولم يَبْقَ من ذكره إلَّا اسمُه، وانفضَّ النَّاس عنه، حتَّىٰ عَدُّوا بخاريَّ زمانه، ومُسلمَ أوانه، من مرَّ علىٰ «**صحيح البخاري**» مرَّ السحاب، دون أن يُطلق لنفسه العنان في تفهم الأحاديث واستنباط الأحكام[1]؛ بعد هذا كلِّه: أذن الله بإحيائه، وقيَّض له من يعملون علىٰ تجديده وبثِّه، وتيسيره وتقريبه وشرحه، حتىٰ غَدَا -في وقتٍ من الأوقات- الكلامُ عن الأحكام علىٰ الأحاديث، والتصحيح والتضعيف؛ علامةً يُزان بها المنتسِب إلىٰ العلم، فيُمدَح بمعرفة الدليل واتِّباع السُنَّة، ويُقدَح فيمن تعرَّىٰ عنها وقلَّ اعتناؤه بها، وقد يُرمىٰ بمخالفة الدليل وضعف الحُجَّة[2]!

وكعادة أي علمٍ من العلوم يكثر المحبّون له، ويتوارد علىٰ منبعه الظِّماءُ إليه؛ تظهر طرائق قِدد، ومناهج جُدُد، والكلُّ يحاول أن يخدم هذا العلم وأن ينشر ويُقرِّب، فمنهم من يُصيب ومنهم من يُخفِق، والله سبحانه من يُعين ويهدي ويُوفِّق.

وعلم الحديث في هذا ليس بدعًا من العلوم، بل شأنه شأنها، تنوَّعت مدارسه مع تنوُّع البلاد والعقول والقائمين علىٰ التعليم، ولم يتوقَّف الأمر عند أسوار الجامعات الحكومية، والكليات الرسمية، بل تخطَّىٰ هذه الحواجز والأسوار، ليبرز في صورة أخرىٰ غير نظاميَّة أو رسمية، مُعينًا الأفراد علىٰ الارتشاف منه، كلٌّ بقدره، دون احتكارٍ له علىٰ فصيلٍ بعينه.

---

(١) محمد عبد العزيز الخولي، «**تاريخ فنون الحديث النبوي**»، (ص/ ٦، ٧).

(٢) يُنظَر علىٰ سبيل المثال في ذلك: كلام الشيخ الألباني عن الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب في تمهيد «**الدرس الحديثي السعودي**» من هذا الكتاب.

وقد كان من عادة أهل العلم حينما يتكلمون عن فنٍّ من الفنون تخصَّصُوا فيه، أو يؤرِّخون له، أو يتحدثون عن رجاله؛ أن يذكروا في تضاعيف كلامهم حال هذا العلم في زمانهم، ليكون مَنْ بَعدَهم علىٰ بصيرة بهذه الفترة، عالمًا بما آل إليه الحال من ضعف أو قوة[1]، وكذلك يكون فيه للمعاصر تشجيعٌ وإعانة، أو تصحيحٌ وإرشادٌ وإبانة.

ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب: «**الدرس الحديثي المعاصر**»، الذي يضم بين دفَّتيه معالم للدرس الحديثي في مجموعة من البلاد التي ظهر اهتمامٌ زائدٌ من بعض علمائها بالحديث وعلومه، وكان لهم أثرٌ ملموس، ونتاجٌ محسوس، تخطَّىٰ في كثير من الأوقات حدود بلادهم، فتناول البحثُ بلاد: **مصر، والسعودية، والشام، والمغرب الأقصىٰ، والهند**.

يهدف البحث في المقام الأول إلىٰ توصيف الدرس الحديثي بهذه البلاد المذكورة، مع بيان أهمِّ علمائها ومشايخها القائمين به، والتعريج علىٰ دروسهم ونتاجهم الحديثي بصورة خاصَّة، متضمِّنًا ذلك في ثناياه توصياتٍ، أو ملاحظات، يكون الغرضُ منها: النصحَ والتقويم، لا الهدمَ والتشهير، مؤمِّلين من وراء ذلك كله -بعد رضا الله وثوابه- الإسهامَ في بناءٍ علميٍّ سامقٍ، لا يزال أهله يتواردون عليه جيلًا بعد جيل، فمن مؤسِّس ومؤصِّل، ومن محسِّنٍ ومرمِّم، ومن مضيفٍ ومتمِّم، والفضل كله بيد الله: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

ولقد وُفِّق **مركزُ نَمَاء للبحوث والدراسات** بتقديم أمثال هذه الأبحاث الجامعة بين التوصيفات والمراجعات، التي يخطُّها أبناء هذه الأمة، المحبُّون لها، الغيورون علىٰ تراثها، الطموحون لرفعتها ونهضتها وإقالة عثراتها، فليسوا بمعاول هدمٍ لها، أو مجترِّين لتراثٍ قديمٍ غاضِّين الطّرْف عن زلَّاتها وأخطائها، وتقدُّمِ الأمم من حولها، ضاخِّين -بمثل هذه المنوِّمات- حُقَنًا من الاسترخاء في وريد الحركة العلمية عند

---

(١) من ذلك: قول الذهبي في «**تذكرة الحفَّاظ**»، (١/ ١٠) ناعيًا حال الحديث وأهله في زمانه: «فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت أن لا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب»! ومع ذلك فنصائحه لأهل زمانه من طلبة هذا العلم ومن بعدهم مبثوثة في كتبه. وكذلك فَعَل الشيخ محمد عبد العزيز الخولي في كتابه: «**تاريخ فنون الحديث النبوي**»، حيثُ أرَّخ، ووصف، ونَقَدَ ونصح.

شبابها، وإنَّما يحاولون النفخ في تراث الماضي بروح عصرهم؛ ليبتعثوه من مرقده مرة أخرىٰ، فيواكبوا ما حولهم دون خلع عباءتهم، أو التملُّص من أصولهم، كما وقع من بعض أبناء جلدتهم!

وأمثال هذه الكتابات التي تهدف إلىٰ استمطار العقل للأفكار؛ إذا سُقيتْ بقَطْر الأدب، وغَيْث العلم؛ ازدهرت، وأنبتت من كل فكرٍ نضيج؛ فتؤتي -بإذن الله- أكلها، ولو بعد حين. فما بسقت أغصان إبداعٍ وتجديد؛ إلَّا علىٰ بذر نصحٍ وتقويم. وكتابنا اليوم يُعدُّ -فيما نحسب- واحدًا من هذه الكتابات.

وأخيرًا: فالعمرُ أثمنُ من أن نضيّعه في انتقاص قدرٍ، أو غَمْطِ فضلٍ، معاذ الله، وكيف تطيب النفس بذلك مع مسلمٍ، فضلًا عن أُناسٍ سكبوا أعمارهم، وأفنوا زهرة شبابهم في تحصيل العلم ونشره، وتعليمه وبثِّه، والدعوة إلىٰ الله به! تقبَّل الله جهدهم، وأثابهم الحسنىٰ علىٰ سعيهم.

فليطِبْ الناظرُ نفسًا، وليقرَّ عينًا، فهذه الدراسة ليست موضوعةً لهدم بناءٍ، أو تتبُّع ثغرات، وإنَّما هي توصيفٌ للوضع القائم، مع اقتراحٍ لِمَا يُكتَمَلُ به البناء، وتُسدُّ به جوانب العَوَز، فهي محاولة لشدِّ قوس النظر، من أجل انطلاقة أقوىٰ لسهم العمل، وليس بعد رؤية الطريق إلَّا عزم المسير.

والحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مبارَكًا فيه، حمدًا يوافي نعمَه، ويكافئ مزيدَه، ويدفع عنَّا نقمَه.

أحمد الجابري